أبو يوسف الانصاري العلامة صاحب كتاب الخراج

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

Contents

اسمه ولقبه ونسبه: 2
ملازمة أبي يوسف لأبي حنيفة: 4
كيف خالف أبو يوسف أستاذه أبا حنيفة: 5
شغف أبي يوسف بالعلم والتحصيل: 5
أشهر مؤلفات أبو يوسف: 6
ثناء العلماء على أبي يوسف ومكانته لدى الخليفة هارون الرشيد: 7
أبو يوسف يحتضر ويعلم: 8

أبو يوسف الانصاري الإمام العلامة المحدث صاحب كتاب الخراج

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

- ❖ قاضي القضاة والتلميذ الأول للإمام أبي حنيفة النعمان،
- ❖ اشتهر بإتقان الحفظ،
- ❖ ولقبوه بالمجتهد وقاضي القضاة الأول في الدولة الإسلامية

اسمه ولقبه ونسبه:

أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي المشهور بـأبي يوسف، الولادة الكوفة 113 ه/ 731 م وهو من تلاميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. ويعد القاضي أبو يوسف الإمام المجتهد العلامة المحدث، تولى القضاء ومنح لقب قاضي القضاة، توفي في عصر هارون الرشيد سنة 182 ه/ 798 م. [1]

كنيته: أبو يوسف، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة ودرس عنده أصول الدين والحديث والفقه، ولي القضاء ببغداد أيام الخليفة المهدي والهادي والرشيد. ومات وهو على القضاء، وهو أول من دعي قاضي القضاة ويقال له: قاضي قضاة الدنيا، وأول من

[1] - أنظر، محمود خضر إسماعيل سلوم، القاضي أبو يوسف وكتابه الخراج/دراسة حديثية نقدية، رسالة ماجستير، بإشراف د خالد علوان، 2013

وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. [2]

(ولد يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري المعروف بأبي يوسف في سنة 113 هـ/731م، بمدينة الكوفة ونشأ في أسرة فقيرة، وبدأ طلب العلم بحفظ القرآن الكريم ودرس العربية والفقه والأصول، وعرف بالنجابة والذكاء، واتجه منذ الصغر إلى دراسة الحديث، فسمع أبا إسحاق الشيباني ويحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة وعطاء بن السائب. ودرس المغازي وأيام العرب على محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية المعروفة باسمه، وتتلمذ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، الفقيه الكوفي المعروف، وانتسب إلى حلقة الإمام أبي حنيفة، ودفعته الحاجة إلى العمل لمواجهة ضرورات الحياة، فتعهده الإمام أبو حنيفة بالرعاية وأمده بالمال حتى يتفرغ تماماً للدراسة وطلب العلم، وظل ملازماً لأبي حنيفة قرابة العشرين سنة). [3]

كان إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي والد أبي يوسف فقيراً، يملك حانوتاً ضعيفاً فكان أبو حنيفة يتعهد أبا يوسف بالدراهم مائة بعد مائة. (روى علي بن حرملة التيمي عنه قال: كنت أطلب العلم وأنا مقل فجاء أبي فقال: يا بني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة فأنت محتاج فآثرت طاعة أبي فأعطاني أبو حنيفة مائة درهم وقال: الزم الحلقة، فإذا نفذت هذه؛ فأعلمني، ثم بعد أيام أعطاني مائة). [4]

حدث أبو يوسف عن: هشام بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصاري وعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وأبي إسحاق الشيباني وعبيد الله بن عمر والأعمش وحجاج بن أرطاة وأبي حنيفة ولزمه وتفقه به، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم. وعن محمد بن الحسن قال: مرض أبو يوسف، فعاده أبو حنيفة فلما خرج قال: إن يمت هذا الفتى؛ فهو أعلم من عليها. وقال أحمد بن حنبل: أول

---

[2] - التشريع الإسلامي، محمود محمد حسن، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة المنصورة.

[3] - عمرو أبو الفضل، أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة وأول قاضي قضاة في الدولة الإسلامية، http://www.alittihad.ae/details.php?id=30468&y=2009

[4] - مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للإمام الذهبي.

ما كتبت الحديث اختلفت إلى أبي يوسف وكان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد. قال الذهبي: (بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه وكان الرشيد يبالغ في إجلاله) .

وقال عنه ابن المديني: ما أخذ على أبي يوسف إلا حديثه في الحجر وكان صدوقا. قال إبراهيم بن أبي داود البرلسي: سمعت ابن معين يقول: ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث، ولا أحفظ، ولا أصح رواية من أبي يوسف. وروى عباس، عن ابن معين: أبو يوسف صاحب حديث، صاحب سنة. وعن يحيى البرمكي قال: قدم أبو يوسف وأقل ما فيه الفقه وقد ملأ بفقهه الخافقين. وقال النسائي في طبقات الحنفية وأبو يوسف ثقة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.

حدث عنه: يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن الجعد وأسد بن الفرات وأحمد بن منيع وعلي بن مسلم الطوسي، وعمرو بن أبي عمرو الحراني وعمرو الناقد وعدد كثير.

ملازمة أبي يوسف لأبي حنيفة:

قال أبو يوسف» : صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة. ولصحبته لأبي حنيفة قصة يرويها لنا أبو يوسف فيقول: كنت أطلب الحديث والفقه عند أبي حنيفة، وأنا مقل (قليل المال) رث الحال والهيئة، فجاءني أبي يوماً فانصرفت معه، فقال لي: يا بني، لا تمد رجلك مع أبي حنيفة (أي لا تذهب إليه) فإن أبا حنيفة خبزه مشوي (غني وقادر على أن يعيش عيشة كريمة)، وأنت تحتاج إلى معاش (عمل حتى تنفق على نفسك ولا تنقطع للعلم)، فقصرت عن كثير من الطلب (أي طلب العلم) وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه؛ فقال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالناس وطاعة والدي، وجلست حتى انصرف الناس، ثم دفع لي صرة وقال: استمتع بها. فنظرت فإذا فيها مائة درهم وقال: الزم الحلقة وإذا أفرغت هذه (إذا أنفقتها) فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما قضيت مدة يسيرة، دفع إليَّ مائة

أخرى، ثم كان يتعهدني وما أعلمته بقلة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء، وكأنه يخبر بنفادها وظل كذلك حتى استغنيت. [5]

ولم يكن لأبي حنيفة تلميذ في نجابة أبي يوسف وذكائه، الذي استمر في تلقي العلم حتى حفظ التفسير والحديث والمغازي وأيام العرب، وسار أبو يوسف على نهج أستاذه أبي حنيفة في الفقه، إلا أنه كانت له اجتهادات خاصة به، وألف كتباً كثيرة أشهرها (كتاب الخراج) وهو رسالة في إدارة المال العام والقضاء، وقد قربه الخليفة هارون الرشيد إليه، وولاه القضاء، ومنحه لقب قاضي القضاة، وكان الخليفة يستشيره في أمور الدين والدنيا.

كيف خالف أبو يوسف أستاذه أبا حنيفة:

خالف أبو يوسف أستاذه أبا حنيفة في الكثير من المسائل وقال ابن معين: (ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت منه في الحديث والحفظ، هذا مع مبالغته في العبادة والذكر، حتى أن ورده في النوافل في اليوم مئتا ركعة، وكان على عقيدة السلف الصالح ويكره أهل البدع)، وروي عن أبي حنيفة أنه قال عن تلاميذه: (أصحابنا ستة وثلاثون رجلاً، ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، وفيهم ستة يصلحون للفتوى، وفيهم اثنان يصلحان لتأديب القضاة وأصحاب الفتوى)، وأشار إلى أبي يوسف وزفر. وحين استشار الإمام أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف في قبول وظيفة القضاء، ونصحه أبو يوسف بالقبول، قال له شيخه: «لكأني بك قاضياً، وهي النبوءة التي قال عنها هارون الرشيد فيما بعد: «إنهَ أبا حنيفة كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه»• وقال يحيى البرمكي: «أبو يوسف مقدم، وأقل ما فيه الفقه وقد ملأ بفقهه الخافقين. وقال أحمد: «كان أبو يوسف منصفاً في الحديث». وعن أبي يوسف قال: (صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة). وعن هلال الرأي قال: (كان أبو يوسف يحفظ التفسير ويحفظ المغازي وأيام العرب، وكان أحد علومه الفقه). [6]

شغف أبي يوسف بالعلم والتحصيل:

---

[5] - مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للإمام الذهبي.

[6] - عمرو أبو الفضل، أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة وأول قاضي قضاة في الدولة الإسلامية، http://www.alittihad.ae/details.php?id=30468&y=2009

شغف أبي يوسف بالعلم والتحصيل دفعه للرحيل إلى المدينة المنورة وأخذ الحديث والفقه عن الإمام مالك، وعندما تضلع في العلم عاد إلى العراق، واشتغل بالتدريس، وتقلد منصب القضاء في سنة 166هـ/782م، في عهد الخليفة العباسي المهدي فحمدت سيرته واشتهر بالورع والتقوى والصلابة في قول الحق، فتولى منصب قاضي القضاة في عهد الخليفة هارون الرشيد، وقد استحدث هذا المنصب لأول مرة في تاريخ القضاء الإسلامي، وكان أبو يوسف هو أول من يشغل هذا المنصب، واجتهد أبو يوسف في نشر المذهب الحنفي وفق شيخه أبي حنيفة، وجعله الفقه الرسمي بالقضاء والإفتاء والتدوين. [7]

أشهر مؤلفات أبو يوسف:

كان أبو يوسف أول من ألف الكتب في مذهب أبو حنيفة، وله عدة مصنفات منها:

- الخراج.
- الرد على سير الأوزاعي.
- اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.
- الآثار

كتاب الخراج أشهر مؤلفاته:

يعد كتاب الخراج، من أعظم كتب الفقه الإسلامي، أنجزه أبو يوسف استجابة لطلب الخليفة هارون الرشيد بأن يضع له كتاباً في مالية الدولة وفق أحكام الشريعة، وقد تضمن الكتاب بياناً بموارد الدولة على اختلافها (الإيرادات) ومصارف تلك الأموال (النفقات)، وبيان الطريقة المثلى لجمع تلك الأموال والواجبات التي يلزم بيت المال (الخزينة) القيام بها، وتضمن كتاب الخراج انتقادات لتجاوزات بعض الولاة مع أهل الخراج والشطط في تحصيله، ويقدم النصائح للخليفة في ضرورة أن يجلس للنظر في مظالم الرعية مجلساً واحداً في الشهر أو الشهرين، حتى ينتهي الولاة عن ظلم

---

[7] - الدكتور نبيل غنايم - أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

رعيتهم، وحث بيت المال على الإنفاق على المشروعات العامة. وترك القاضي أبو يوسف مصنفات فقهية كثيرة أهمها كتاب الصلاة، والزكاة، والصيام، والفرائض، والبيوع، والحدود، والآثار، وهو مسند لأبي حنيفة، رواه أبو يوسف عنه، ويضم طائفة من الأحاديث التي اعتمد عليها أبو حنيفة في بعض ما استنبطه من أحكام وفتاوى. بالإضافة إلى مجموعة أخرى من فتاوى التابعين من فقهاء الكوفة والعراق. وله ايضاً كتاب (اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى)، وهو كتاب جمع فيه أبو يوسف مسائل اختلف فيها أبو حنيفة مع ابن أبي ليلى الفقيه الكوفي المعروف. [8]

تضمن كتاب الخراج بياناً بموارد الدولة على اختلافها، حسبما جاءت به الشريعة، ومصارف تلك الأموال، وتطرّق إلى بيان الطريقة المثلى لجمع تلك الأموال، وتعرض لبعض الواجبات التي يلزم بيت المال القيام بها. والكتاب يعد وثيقة تاريخية مهمة في تصوير بعض الأحوال المالية والاجتماعية في عصر هارون الرشيد وحتى يومنا هذا، فهو يندد ببعض ممارسات بعض الولاة مع أهل الخراج، حيث يطالبونهم بما ليس واجبا عليهم من أموال، ويشتطون في تحصليها. [9]

كما نصح أبو يوسف الخليفة أن يجيب مطالب المزارعين وأهل الخراج في كل ما فيه مصلحة لهم، كحفر الأنهار. ويلتزم بيت المال بالإنفاق على تلك المشروعات.. وخلاصة القول إن أبا يوسف وضع نظاما شاملا للخراج يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية.

ثناء العلماء على أبي يوسف ومكانته لدى الخليفة هارون الرشيد:

أثنى العديد من العلماء على أبي يوسف فقال يحيى بن معين: ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث، ولا أحفظ ولا أصح روايةً من أبي يوسف. وقال أيضاً كان أبو يوسف يحب أهل الحديث، ويميل إليهم. وقال عنه عبد الله بن داود الخريبي: كان أبو يوسف قد اطلع على الفقه أو العلم اطلاعاً، يتناوله

---

[8] - كتاب الخراج - دار المعرفة: https://www.almeshkat.net/book/2546

[9] - المصدر السابق.

كيف يشاء. وقال عمرو بن محمد الناقد: ما أحب أن أوري عن أحد من أصحاب الرأي إلا عن أبي يوسف، فإنه كان صاحب سنة.

(كان أبو يوسف محدثاً فقيهاً مهتماً بجمع الحديث وروايته والجلوس لأهله، وموضع تقدير الناس وإجلالهم له، ولسعة علمه وتبحره في العلوم توثقت علاقته بالخليفة الرشيد وأصبح من المقربين في مجلسه، وخاصة مستشاريه، وكان يستشيره في أمور الدين والدنيا وكتب له في الكتاب الذائع الصيت «الخراج»: «وقد كتبت لك ما أمرت وشرحته لك وبينته فتفقهه وتدبره، وردد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك ولم آلك والمسلمين نصحاً). [10]

مات أبو يوسف وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنني لم أجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمداً، وقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك، وكلما أشكل عليَّ أمر جعلت أبا حنيفة بيني وبينك. قال بشر بن الوليد: توفي الفقيه أبو يوسف يوم الخميس لخمسٍ خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومئة، فحزن عليه الناس جميعاً؛ وقال صديقه أبو يعقوب الحريمي: (اليوم مات الفقيه).. فرحم الله أبا يوسف.

أبو يوسف يحتضر ويعلم:

قال أحد تلاميذه القاضي إبراهيم بن الجراح: مرض أبو يوسف، فأتيته أعوده، فوجدته مغمى عليه. فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم: ما تقول في مسألة؟ قلت وأنت في هذه الحالة؟ قال: لا بأس بذلك، ندرس، لعله ينجو به ناج! ثم قال لي: يا إبراهيم: أيها أفضل في رمي الجمار، أن يرميها ماشيا أو راكبا؟ قلت يرميها راكبا. قال: أخطأت. قلت: يرميها ماشياً. قال: أخطأت! قلت: قل فيها، يرضى الله عنك. قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راكباً. ثم قمت من عنده. فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه. فإذا هو قد مات. دفن ابو يوسف في مقابر قريش شمال بغداد في مدينة الكاظمية.

---

[10] ـ عمرو أبو الفضل، مصدر السابق،
http://www.alittihad.ae/details.php?id=30468&y=2009

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري
كلية الاقتصاد – جامعة دمشق
دمشق ص ب 12341 سورية
Prof. Dr Moustafa El-Abdallah Alkafry
Faculty of Economics - University of Damascus

المراجع:

- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للإمام الذهبي.
- التشريع الإسلامي، محمود محمد حسن، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة المنصورة.
- محمود خضر إسماعيل سلوم، القاضي أبو يوسف وكتابه الخراج/دراسة حديثية نقدية، رسالة ماجستير، بإشراف د خالد علوان، 2013
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:
- https://www.wikiwand.com/ar/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81